طلب من التاجر أشياء ولكن التاجر نفى وجودها عنده. فلمحت عينا البك بعض الأصناف المطلوبة على رف من الرفوف فأشار إليها قائلاً: « أمال إيه ده ؟ » وأجاب التاجر بأن غيره دفع ثمنها وسيرسل فى طلبها. وضحك صاحب السلطان ضحكة مُرَّة وهو يهز رأسه قائلاً: « هيه ... طيب ! السلام عليكم » ثم خرج وتنفس التاجر الصعداء

واتجه إلينا ذلك التاجر وقال فى لهجة اعتذار: إن قريبه فلان بك الذى يتفق عليه أمره ألا يعطيه شيئاً إلا بإذن كتابى قال: « دا مسكين ضيع كل ما يتملك فى المكيفات، اللهم احفظنا وباعد عفش بيته. وهل تاب بعد كده ؟ لا، دا صنف لا يستحق النعمة »

ومضيت وفى نفسى كلمة التاجر الأخيرة وأنا أحدث النفس قائلاً كم ذا بمصر من هذا الصنف الذى لا يستحق النعمة !

الطيف

وداع الشعر

A DIEUX A LA POESIE

للشاعر الفرنسى لامرتين

كان لامرتين من أعظم شعراء فرنسا فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وهو غنى عن التعريف، وتعد آثاره الأدبية من أنفس ما أبدعه الخيال الرائع.

ومن تلك الآثار قصيدة بديعة نسج بردها يوم كان ملحقاً بسفوضية فرنسا بنابولى عام ١٨٢٠ حيث كان انهماكه فى تحبير الرسائل الدبلوماسية يحول بينه وبين استرساله فى قرض الشعر فأفرغ فى هذه القصيدة وداعه الشعر (المترجم)

لما اعتزمت اعتزال الشعر خالجنى ... موطد العزم لكن خاب تصميمى
ودعته صادقاً لكنما عرضت ... منازع الفكر تدعونى لترنيم

تأبت وهى شتى فى بواعثها ... وطالما ناشدتنى نظم تلحينى
هناك فى ساعة حل السكون بها ... فى وحدة الصمت عاد الشعر يغرينى

حيث الوجود حليف النوم أجمعه ... حتى الأمانى استكنت فى زواياها
فى غابة برزت كالطيف ثابتة ... فما تهادى نسيم فى حناياها

هناك مرحلة فى العمر شاردة ... كأنما النفس فيها نفس وسنان

فلا التنفس فى الأحشاء منسجم ... ولا الحماس لقرض الشعر نادانى

والطير وهو الذى يُضفى ببهجته ... على الرياض سروراً بالغ الأثر
لا ينجلى ساجعاً فى كل آونة ... وفى الظهيرة يهوى ظلة الشجر

فإن بدا الفجر ناغى الكون مبتهجاً ... وفى الغروب يناجى دورة الفلك
يشف تلحينه فى الصبح عن طرب ... وفى المساء يناغى وحشة الحلك

ربابتى، ساعة الهجران قد أزفت ... لك الوداع إذن من مغرم دَنِفِ
يا من تهُدكِ المشجى يثير جَوَى ... وكم يثير وداعى بالغ الأسَفِ

أنى تلامس كفى منكِ ناصيةً ... ولم يزل باكياً من شجوه الوتَرُ
قد أقبلت ساعة التوديع مسرعةً ... فهاكِ عَبْرَةَ ودٍّ وهى تنهمر

أيتها لعينى أن تُخفى لها أثراً ... وتلك ثائرة من واكف الشجنِ
كم دمعةٍ سكَبَتْها النفسُ والأسفى ... فبلّلتْ وتراً أوفى ولم يخنِ
لم تستطع زفرات منكِ صاعدةٌ ... تجفيفها، فحكتْ طلاً على فَنَنِ

إن الربابة لم تُمنح مُكلَّلةً ... بالسر والناس فى هذى الدنا التمسه
إلا لتسكين آلامٍ لنا انتشرت ... حيث الدموع من الآماق منبجسه

ما كل ما يرسل الأنغام مُشْجيةً ... إلا يردد آلاماً وآمالا
أما السعادة لم ينطق بها وترٌ ... بل حالف الصمت تالو الصمت أجيالا

أحلى الأغانى أغانٍ طاب مسمعها ... من بلبلٍ ناحبٍ أو شاعرٍ باكِ
تحت الظلال على قبر توسده[1] ... أعز خدنٍ يناجى روحه الشاكى

ربابتى، أنتِ مثلى مرتِ فى أثرى ... حزينةَ الصوتِ والإنشادِ والنَّغَمِ
لم تمتزج قط بالأنغام يُنشدها ... أهل السعادةِ والإقبالِ والنعم

بغصن صفصافة فى الشط عالقة ... طليقة كطيور الغاب فى الأيك
أبت يدى لكِ رَبطاً كالأسير على ... أبواب قصر عظيم أو حِمَى مَلِكِ

لم تُلهمى أبدا فى أى آونةٍ ... ثوائر النفسِ تعزيزاً لذى حزب
فأنتِ قد فقتِ طهراً كل خاطرةٍ ... ولم تداعبكِ إلا نشأة الحب

(١) يلمح الشاعر إلى شعره الملهم من حزنه على عشيقته المغبر Elvire بطلة قصته (روفائيل) التى شغفته حباً فى نابولى ثم قضت بعد أن صرعها مرض السل

هل قُطِّبت جبهتي يومًا لكارثة ... هوجاء عاتية من قسوة القدر ؟
كلا ، بفضلك لم أجزع لصدمتها ... ولم أبالِ بما ألقاه من خَطرِ

وأينما ذهبت نفسي سمعتُ صدًى ... من السماء لصوتٍ حين تبعثه
نفسي الغريبة فوق الأرض ما برحت ... تُصغي لما دَأب الإلهام ينفثُهُ

على الرباحيت يبدو الرقيب إذا ... لاح النهار كما لو فوقها بزغا
إذ كنتِ في صحبتي كيما أردِّدما ... نظمتُ في مدح معبودي له صِيَغا
ما كان أول إشعاعٍ يُفيق بها ... إلا وقد فتر الإنشاد أو فرغا

كم كنتِ تُلقين بالأنغام موحشةً ... على هدير حبالِ الفلك والموجِ
وقد بدا البرقُ خلَّابًا بزرقته ... يخبو ويسطع عَبْرَ الأفق في الأوجِ

وكنتِ مثل طيور العاصفات تُرى ... محلِّقاتٍ على الأمواج في البحرِ
وكدتِ أن تلمسي من فوقها زَبَدًا ... يعلو ويهبط بين المد والجزرِ

تلك التي طالما استرعت مناظرها ... مرآي قد حالفت أنغامها نَغَما
تهدّاتُك مع أصواتها امتزجت ... فكان رجع صدي اللحنين منسجما

وطالما ارتعشت شجواً حبائلها ... القاتمات علتها نشوة الرخوة
تحكي ارتعاشاً عرا الأوتار من سُجن ... أنامليَّ حرَّكت في روحها النشوة

ربابتي ! ربما ألقاكِ بعدُ ، متى ... رأيتِ يوماً نذير الموت يقتربُ
تليه غاشيةُ الأحلام موحيةً ... من السماء أموراً ما بها لَعِبُ
تكون قد بعدت عنا الحياة كما ... لو أصبحت ذِكرياتٍ عهدها الكتبُ

وإذ يعود شباب الخلق ثانيةً ... يحفه طائف حلو لنسيان
قد ينحني المرء أوقاتاً عليكِ فني ... رنينكِ العذبِ تلطيف لأحزان

وهذه الريح إذ تجري محلقةً ... من فوق أرواحنا في برزخ العدم
تهب في الفجر أحياناً مُبكِّرةً ... كما تهب بيانًا هبَّ مُختزم
وكم يروق لما إمعانها عبثاً ... بشعر ريحانةٍ أو ذقن ذي هرَم

إيهاً للحية هوميروس[1] تحجبها ... قُطَاعةٌ من جليد عن ذوي النظر
وكأن لمع شعاع الفكر مؤتلقاً ... يعيد نوراً خبا من قبلُ في البصر

ألم يكن ملتن[1] الأعمى بذي بصر ... فكم جلا غيهباً في حومة الفِكَر ؟
ألم تحم حول عيني ملتنٍ طُرَفٌ ... من رائع الحب والآمال والصور؟
تحكي القراشة حامت قبل أن هبطت ... على فلورا[2] التي تهوى على الأثر
يبدو وميض جناحيها كبارقةٍ ... أضاءها شَفَقٌ وضّاء كالشرر

ربابتي ، ربما تأتين قاصدةً ... زيارتي بيننا الميعاد لم يَحِنِ
فتستطين مياه البحر طافيةً ... من شاطئٍ لسواه طفو متزن
أكون قد غالبتني موجة فقضت ... على حياتي غريقاً ماؤها كفني
وغيَّب اليم صوتي تحت لُجته ... فضاع لحن شكاتي فيه من زمن
وقد نأى بي مصيري في غياهبه ... عن السموات ، إن الهجر يؤلمني
كعُشبة البحر تحت الماء شاردة ... وقد رمى الموج عظمي رمي مُمتَهَنِ
على الرمال يُرى ملقًى بشاطئه ... فيا لهول رُفاتٍ هالكٍ عَفِنِ

لكنما أنتِ يا من ترسلين على ... شتى المسامع أمواجاً من الطرب
وتركبين متون الموج سابحةً ... لا ترهبين دنو الموت والعطب.
إن البعاج على متن البحار جرت[3] ... تحكيكِ من حسدٍ في موكبٍ لجبِ

(الأسكندرية)

محمد أسعد ولوية

(١) (ملتن) شاعر انجليزي (١٦٧٤ — ١٦٠٨) كفيف البصر أيضاً . ومن أشهر مؤلفاته الشعرية (الفردوس المفقود)

(٢) (فلور) إلهة الأزهار عند الرومان (٣) تقول الأقصوصة تغنى البعاج عند ما تشعر بدنو منيتها غناء ممتازاً ويستحوذ عليها الابتهاج لاعتقادها أنها مقبلة على لقاء الاله (أبولون) التي هي في خدمته

(١) تصور لنا الأقصوصة القديمة (هوميروس)

الافصاح

المعجم العربي الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية في العلوم المختلفة ، ولا يستغني عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى
المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة

عبد الفتاح الصعيدي
رئيس التحرير بمجمع فؤاد الأول للغة العربية